

جولة مع صيادي السمك على شاطئ غزة

مجلة التراث والمجتمع العدد 5 - جبر فضة - 1976/01/10م - 11:30 ص



في جولة على رمال البحر الجميل، وفي طريق للقاء بعض رجال البحر من الصيادين الذين قضوا العمر في مصارعة البحر الغاضب لانتراع لقمة عيشهم من جوفه، شاهدت القوارب المختلفة بأنواعها وأحجامها وقد ألقيت عليها أدوات الصيد من الشباك التي يضعها الصيادون أنفسهم. اقتربت من معسكر اللاجئيين الذي يعيش فيه هؤلاء الرجال منذ أكثر من سبعة وعشرون عاماً. وقبل دخول منزل أحدهم. أجريت هذا الحديث مع صانع القوارب المعروف الأخ إسماعيل محمد مطر أثناء قيامه ببناء أحد القوارب الآلية.

س: كم عدد الذين يتقنون صناعة القوارب في القطاع؟

ج: خمسة أشخاص هم السادة: محمد محمود مطر، وقاسم المنياوي، وحمد المنياوي، ومحمد البخار، وأنا.

س: ألاحظ تشابهاً في الأسماء، فهل لك أن تحدثني عن كيفية تعلم هذه الصناعة؟

ج: نعم... بالوراثة تقريباً.. فالابن يتعلم من الأب وهكذا.. وتعلم أنه ليس هناك ورشة خاصة لتعليم هذه الصناعة فمن رغب في التعليم وجب عليه أن يتتلمذ على يد أحد هؤلاء الرجال.

س: كم يبلغ طول هذا القارب وعرضه، وكم يستغرق من الوقت لانجازه؟

ج: طوله عشرة أمتار وعرضه متران ونصف، ويحتاج شهرين ونصف لإتمامه.

س: ما هي تكاليف مثل هذا النوع من القوارب؟

ج: حوالي خمسة آلاف جنيه مصري مع أجرة الصناعة وهي حوالي ستمائة جنيه مصري.

س: هل تستخدم أدوات حديثة في الصناعة؟

ج: إذا توفرت نعم، وإذا لم تتوفر كما ترى فأقوم باستخدام الأدوات التقليدية كالكشاكوش والأزميل وغيرها.



وبعد فقد تركت السيد إسماعيل مطر لاستئناف عمله بهمة وحماس وقد اجتمع حوله أصحاب القارب لمساعدته.
واتجهت نحو منزل الحاج محمود عاشور الملقب بأبي سالم الخرسة الذي أعطى البحر ما يقارب من خمسين عاماً من حياته ثم ترك البحر لتقدمه في السن مورثاً أولاده وأحفاده هذه الحياة القاسية.
وكان في انتظاري هناك الحاج محمد الزة ار الذي قضى أكثر من خمسين ربيعاً من حياته مصارعاً البحر على سواحل يافا وحيفا والطنطورة وقيساريا وعكا وعتليت وعسقلان وحمامة وغزة والعريش حتى سواحل البردويل جنوباً.
حدثنا الحاج الزة ار عن أغاني الصيادين عند دفع القارب إلى البحر وعند إلقاء الشبكة إلى البحر وظهور السمك.
الأغاني عند دفع القارب إلى البحر:

هية يا الله يا عناية الله

هية يا الله ويا رسول الله

هية يا الله ويا معين يا رب

الأغاني عند شد الشبكة وقد امتلأت بالسمك

هيلي وصلي ع النبي

ما أحلى الصلاة ع النبي

يا ما أحلى ذئوك يا نبي

صلوا يا حاضرين على محمد نبينا

صلي يا مسلم صلي على نبينا

وأما عند خروج المراكب إلى البر فيرددون نفس الأغاني التي تتسم بطابع الدعاء التي يرددونها عند دفع المركب إلى البحر .
أما إذا وجد الصيادون الوقت للراحة بعد الصيد، فيجتمعون يتسامرون ويتبادلون المواويل الشعبية المعروفة مثل عتابا وميجانا.
فيطلق أحدهم السمكة (البيت الذي يرده جوقة الصياد) مثل:

يا ميجانا يا ميجانا

يا بحر هدى الموج أجوك أحبانا

ثم يتبعها مواويل مثل

وبحر حايط الدنيا بلا قيس

واجى طولي على طولك بلا قيس

وقلبي ما هوى غيرك حدى

وحق من خلق الدنيا بلا قيس

ثم يتبع الموال مسكة جديدة:

تكرم عيونك واحمل البلوى أنا

يا ميجانا ... يا ميجانا

يتبعها موال:

وعلى اللي يمسخ دموعه بمحارمي

نزل دمعي على خدي بحرمي

حرام يدوس في فراشه النسا

لا عاش رجل تحكمه الحرمي

وهكذا يستمر السمر بين المسكة والموال بقضاء وقت يجددون فيه نشاطهم وينسون فيه كدهم. ويلاحظ أن هذه الأغاني متأثرة إلى حد بعيد بحياة البحر التي تكاد أن تكون ضرورية في كل موال.

أنواع القوارب:

1. مبطنة: وهو قارب شراعي مقدمته ومؤخرته مدببتان مع ارتفاع المقدمة عن المؤخرة نوعاً ما، ويستخدم لصيد السردين والغمبار والملطة واسفرنة وجميع أنواع السمك الصغير في استخدام نوع من الشباك يعرف بالجرافة. والجرافة عبارة عن شبك يربط بحبل مركب عليه قطع رصاص من أسفل وقطع فلين من أعلى. وتستخدم الجرافة عند التقسيط وهو الغوص إلى صخور لطرده السمك من بينها واصطياده بالجرافة.

وتستخدم المبطة لصيد السردين باستخدام نوع من الشباك يعرف بالملطش الذي يلقي في البحر على أعماق تتراوح بين 3 قامات إلى 12 قامة.

2. فلوكة: مقدمتها مدببة ومؤخرتها عريضة "ترس" ويمكن استخدامها لصيد السمك الصغير السردين وكذلك لاصطياد السمك الكبير من أنواع لوكس وفرفور والاسكندر. وتستخدم شرك السنار لهذه الغاية. وذلك بوضع طعم من سمك السردين أو أي نوع من الأسماك الصغيرة.

لغة الصياد الفلسطيني

رَفّ: وهو هبوب رياح شديدة تؤدي إلى ارتفاع الأمواج بشكل يهدد القارب.

الخام: الشراع.

المنطار: الحبل الذي يربط في طرف الشراع على الصاري.

الشقّوطة: الحبل الذي يربط في طرف الشراع لشده.

تعمير الدفة: تثبيت الدفة في مكانها في مؤخرة القارب.

يميج: إخراج الماء من داخل القارب وقذفه إلى البحر.

تعدي: استعداد المركب للخروج من البحر.

تشيط: تندفع بقوة الموج إلى البر.

التحصيل: دفع القارب إلى الشاطئ بقوة الأيدي بعيدة عن الموج.

القرية: عمود يبلغ طوله 9 أمتار تكون سميكة من أسفل ثم تقل سماكتها كلما اتجهت إلى أعلى حيث يثبت عليها الشراع.

إبليس: وجمعها أباليس، وهي الخيوط التي تثبت الشراع بالقريبة.
العزاقة: وهي الخام الذي يركب في النصف الخلفي من القارب حيث يركب على قرية طولها حوالي 8 أمتار.
دويدرة: عمود مركب على الصاري بمستوى سطح القارب وعلى ارتفاع نصف متر من السطح.
الشقطيش: حبل يثبت الدويدرة مربوطة من الجهة الأخرى ببطانة المركب.
هذا موجز مختصر عن حياة بحارتنا القاسية التي صار عوها على مدى التاريخ وعبر العصور وانتزعوا لقمة عيشهم من بين أنيابها الحادة يرنون إلى مستقبل أفضل.